السنة الأولى | العدد الخامس | الاثنين 19 أيلول 2011

حريات
جريدة أسبوعية مستقلة

المعارضة السورية و ألوان الطيف

8 حتى تفهموا لماذا انفجرت سوريا
9 عندما يُسوِق الأسد النفط

كلمة المحرر

ما عاد ابني ذو العشرة أعوام ليقنع بما أقول... يحدّق بي باستغراب كلّما كررت على مسامعه كلام إعلام نظرية المؤامرة الكونية صاحب طفرة ابتهاج السوريين بالمطر كما لم يفعل حتى الهنود الحمر من قبل... يراوغني، لا بل يمطرني هو بوابل من أسئلة «من» و «لماذا» مع كل مشهد لا إنساني أحاول عبثاً رؤيته خلسةً دون أن يلمحني... لكنه دوماً يتبعني بعيونه الفضولية و كأنه يتصيدني، في سعيه ليعرف ما يجري من حوله... أشعر أنه يبحث عن إجاباتٍ كثيرة تفوق حد الفضول العادي... لما غدت مشاهدة التلفاز محرمة، ومتعة رحلة يوم الجمعة إلى ما تبقى من شجر الغوطة مرفوضةً البتة.. كيف اختفى حمزة، و كل يوم يختفي حمزة آخر من صفه في المدرسة.... ماذا أقول له، و كيف أخبره عن وطنٍ ينزف؟ كيف أقنعه أن يبقي ما أتلوا عليه، إن تجرأت أن أتلوا، طي الكتمان، كي نحيا جميعاً بأمان و اطمئنان؟... «خلص بيكفي»... اليوم سأنهره بعنف وآمره ألا يسأل مجدداً، وليحيا كما حيينا تحت سطوة الكلمة المكبوتة لعقود. لن أسمح لهذا الطفل الأخرق أن يعرضني و أخاه الجامعي للاعتقال و التعذيب، ولا حتى رهاب المساءلة.. قدرنا أن نحيا خانعين فليكن و انتهى... «بابا بابا»... هاهو قد أتى، هذي فرصتي وسأغتمنها ولن يجرؤ بعدها على مجادلتي مطلقاً... «شو بدك هلأ كمان يا ولد»... قلتها بنبرة الأب الغاضب بينما أحدق في عينين صغيرتين غرق لونها في بحر من الدموع أكاد أشعر حراراتها عن بعد... «أخي حازم»... حازم يحمله شباب حارتنا على الأكتاف و الكل يغني... الكل يغني يا أبي: لا إله إلاّ اللّه و الشهيد حبيب اللّه».

كريم ليلى

المحتوى

2.	الافتتاحية
3. - 4.	اخبار الثورة
5.	ربيع مسيحيي سورية .. وخريف البطريرك
6.	عندما يُسوِق الأسد النفط
7.	حدث ذات ثورة ... و في بلد اسمه سوريا ..
8.	سمفونية الرعب..تخيف عازفها
9.	عائدون من وراء الشمس (3)
10.	ستة أشهر وبعد
11.	حتى تفهموا لماذا انفجرت سوريا

مدير قسم التحرير

رئيس التحرير
كريم ليلى

مدير التواصل الاجتماعي
نزار الخطيب

فريق الإعداد و التحرير
ألين شاهين
منال محمد

علاقات عامة
لينا خير بك

إخراج و جرافيك
زينب يزبك

ستة أشهر, و براعم ربيع الحرية تزهر في سوريا ... ستة أشهر قطعها السوريون يعبرون إلى الحرية ... يستهلون الشهر السابع بهمة , و إصرار المضي فيها حتى النصر.

تتزايد العمليات الأمنية و العسكرية عنفاً و وحشية :

ما زالت كتائب الجنود و عناصر الأمن و فيالق الشبيحة, ترافقهم المدرعات و المصفحات, تطوف أرجاء سوريا. تستهدف كل بقعة تعالى فيها صوت ينادي بالحرية , و حيثما يموا بثوا الموت و الخراب. كانت أشرس تلك العمليات في إدلب,جبل الزاوية, و في ريف حماة ,و دير الزور,وحمص,وريف حلب,ريف دمشق و سهل حوران, إذ لم تتوقف طوال الأسبوع , ترافقها حملات تخريب ومداهمات و اعتقالات , يسقط إثرها أعداداً كبيرة من الشهداء و الجرحى ،الذين غالباً ما تكون جراحهم خطيرة , يزيدها خطراً صعوبة الإسعاف, و أحياناً استحالته في ظل تحول المشافي إلى ما يشبه الفروع الأمنية.ولقد سجلت حالات اختطاف جرحى و تصفيتهم .

تزداد هذه العمليات شراسةً في المناطق التي تشهد انشقاقات لشرفاء الجيش و الأمن، فتشنّ الحملات الجنونية لملاحقتهم، و كثيراً ما يقوم هؤلاء المنشقّون بالدفاع عن الأهالي العزّل، مما يلحق خسائر ماديّة و بشرية في صفوف الجيش و الأمن.
يأتي هذا في الوقت الذي أعلن فيه الأسد التعبئة العامّة, استعداداً للقضاء على المظاهرات في عمليات شاملة تجتاح أرجاء البلاد كافّةً.

لا للجيش الأسدي قتلة الحمير :

شعار رفعه الناشطون على خلفية الفيديو المسرب لإعدام جنود الأسد لقطيع كامل من الحمير في ريف حماة، كما رفعوا الكثير من الشعارات, فيما يشبه الكوميديا السوداء، إذ تشي بعميق الألم المتواري خلف نكتة أو تعليق ساخر ما.

حرية للأبد غصب عنك يا أسد :

هكذا ردّ شباب الثورة على ممارسات الجيش الأسدي و قوى الأمن و الشبيحة ، لم تهدأ المظاهرات يوماً ، بل كانت سوريا أشبه ما تكون بشجرة الميلاد التي اتقدت فيها قناديل الحرية, كلما انطفأ قنديل اتقد آخر, فقطع الاتصالات و تقطيع اوصال المدن, و الانتشار الأمني و العسكري, و القتل و الاعتقال ... كل هذا و غيره لا يقف في وجه شباب حسم أمره و مضى في درب الحرية ، لم يعد للمظاهرات ميعادٌ محدد، فكل ثانية في سوريا باتت تربةً خصبةً لمظاهرةٍ عارمة.

أبرز هذه المظاهرات ما سمي بثلاثاء الغضب من روسيا، قام المتظاهرون فيها بإحراق علم روسيا ,و رفعوا لافتات منددةً بالموقف الروسي المتخاذل. و علت هتفاتهم تستنكر تصريحات الرئيس الروسي الأخيرة, و قد شهدت هذه المظاهرات مشاركة نسائية كبيرة.
و مضت المظاهراتٌ لتحط رحالها يوم الجمعة في أبرز و أكبر مظاهرات الأسبوع تحت شعار «ماضون حتى النصر» خرج الأحرار بأعداد هائلة, يؤكدون ثباتهم و عزيمتهم على المضي في ثورتهم حتى النصر ... مرددين «حرية للأبد غصب عنك يا أسد « .فيأتي رد قوات الأمن بالعنف و الرصاص الحي... فيصاب العشرات برصاص الغدر... و يستشهد البعض ...و يتم اعتقال المئات.. رغم هذا كله, ظلت الحناجر تصدح ... حرية للأبد غصب عنك يا أسد.

الشعب السوري واحد :

خرجت هذه العبارة منذ بداية الثورة من حناجر المتظاهرين ،يؤكدون فيها وحدة الشعب السوري. وبأن سورية قد جمعتهم و لن يفرقهم شيء بعد ذلك . لكن و على مدى ستة أشهر كان النظام يلوّح بورقة الطائفية, و يعوّل عليها كدرعٍ أخيرٍ لحمايته, و صرح أخير لبقائه . ليأتي بيان ثلاثة من كبار شيوخ الطائفة العلويّة في مدينة حمص أشبه بعملية إجهاض لمخططاته و تعرية لأعيبه ، إذ أعلنوا فيه: «براءتهم من الأعمال الوحشيّة التي يرتكبها نظام الأسد في حقّ الشعب السوري. وأكّدوا أنّ الأسد ونظامه لم ولن يُمثّل الطائفة العلويّة الشريفة في أيّ حال من الأحوال.» وكذلك قال البيان الموقّع من قبل المشايخ: مهيب نيصافي ,ياسين حسين وموسى منصور ,أنه لا وجود لعمليّات خطف وقتل من قبل الطائفة السنّيّة – أو أيّ طائفة – بحقّ أبناء الطائفة العلويّة في حمص. وأوضح المشايخ أن هذه الأخبار التي تذاع يوميّاً عن عمليّات خطف وقتل وتنكيل بأبناء الطائفة العلوية ,جميعها عارية عن الصحة وتهدف فقط للتفرقة بين أبناء الشعب السوري.
كما دعا البيان أبناء الشعب السوري للتظاهر بسلميّة ,لأن الثورة, ومنذ البداية, أظهرت قدرتها على النجاح، ولأن الثورة هي الآن الطريقة الوحيدة للحفاظ على النفس والشرف.

كما صدر بيانٌ عن أبناء الطائفة المسيحية استنكروا فيه مواقف البطريرك الراعي، وجاء فيه :»ان غبطةالبطريرك, الذي لم يتكلم بصفته الشخصية ,ولكن بصفته ممثلا للكنيسة ومدافعا بطريقته عن جميع مسيحيي الشرق، متجاوزا إلى حد بعيد صلاحيات تمثيله، وهو ما جعلنا جميعا معنيين، فوجب علينا التحرك لرفض تدخله في الشؤون السورية لما فيه من إثارة للحساسيات بين أبناء الوطن الواحد بكل طوائفهم ومذاهبهم». وأضاف البيان: « نحن نعتبر تصريحاته بمثابة إساءة لهوية وأصالة ووطنية الشعب السوري، ونذكر أن المسيحيين عاشوا منذ مئات السنين إلى جانب إخوتهم في الوطن السوري دون خوف، ولا فضل لأحد في بقائهم أو حمايتهم، فهم جزء لا يتجزأ من هذه الأرض» . واستنكر الموقعون «أي محاولة لزج الكنيسة في اللعبة السياسية من قبل أي جهة دينية أو مدنية تحاول التشكيك بنوايا أبناء الوطن الواحد» .

ناشطون ومعارضون يعلنون تشكيل « مجلس وطني سوري»:

أعلن ناشطون حقوقيون ومعارضون سوريون، الخميس 15-09-2011. عن إنشاء مجلس وطني سوري، وذلك بعد مشاورات بين العديد من أطياف المعارضة في الداخل والخارج. وقد تم الإعلان عن المجلس في مؤتمر صحفي عُقد في إسطنبول، تحدث المشاركين فيه عن الأهداف الأساسية للمجلس, و من أهمها العمل على إسقاط نظام الأسد, والحفاظ على الطابع السلمي للثورة, والسعي لإقامة دولة مدنية ديمقراطية تعددية. ويضم المجلس نحو 140 اسماً 70منها من الداخل، حيث أكد أعضاؤه على دعوة الجميع للانضمام والمشاركة.

اعترافات هرموش على التلفزيون السوري :

بث التلفزيون السوري صوراً تظهر اعترافات المقدم حسين هرموش، أول ضابط في الجيش السوري أعلن انشقاقه، وذلك بعد أيام من اختفائه وسط جدل حول تمكّن السلطات السورية من القاء القبض عليه. وكان اختفاء الناطق باسم الضباط الأحرار السوريين، هرموش، قد أثار الحيرة والاستغراب، خصوصاً أن هذا الأمر حدث بعد لقائه مسؤولاً أمنياً تركياً ,في وقت سابق من الأسبوع الماضي, بأحد مخيمات اللاجئين في تركيا. لتصدر حركة لواء الضباط الأحرار فيما بعد بياناً يخلي مسؤولية السلطات التركية عن اختطاف هرموش و تسليمه للنظام الأسدي .

و الطريف أن التلفزيون السوري الذي بثّ اعترافات هرموش كان على مدى ستة أشهر ينفي أخبار الانشقاقات, و يصفها بأنها أخبار» مغرضة «و بنعت الفيديوهات المسجلة بأنها فيديوهات» مفبركة»، حتى وصل الأمر بأحد المدافعين عن النظام «خالد العبود « إلى التصريح بأن الملائكة تنشق و الجيش السوري لا ينشق.

لا دراسة و لا تدريس حتى يسقط الرئيس :

أثبتت كثير من المقاطع المسربة و شهادات الأهالي, أن قوات الأمن قد حولت المدارس إلى معتقلات تحتجز فيها المعتقلين, فتهينهم على مقاعدها وتعذبهم و تنكل بهم في قاعاتها. يضاف إلى هذا ارتفاع عدد الشهداء من الأطفال و تزايد أعداد المعتقلين منهم، كل هذا و غيره دفع الأهالي إلى رفع شعار « لا دراسة و لا تدريس حتى يسقط الرئيس « معلنين فيه الامتناع عن إرسال أبنائهم إلى المدارس التي باتت هياكل مفرغةً من جوهرها, لتملأها جرائم النظام بقصص و روايات عن القهر و العنف.

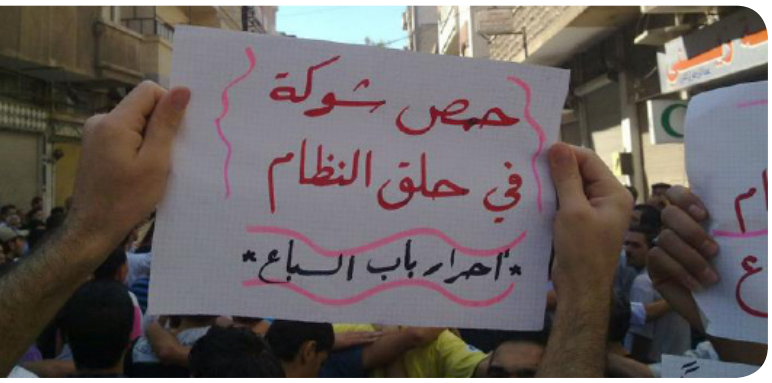

انتهاكات مستمرة و اعتداء على المقدسات :

في جمعة «ماضون حتى إسقاط النظام» رفع الأحرار علماً امتد بين مئذنتي مسجد مصعب بن عمير في خربة غزالة، رفعوه بأيديهم لتنزله قوات الأمن برصاصها، مستهدفةً معه مئذنة المسجد الذي يعدّ من معالم المنطقة.

اختطفت ...لتعود إلى أهلها جثة هامدة مقطعة الأطراف :

في حمص... و ذات يوم لا يعلم أحدٌ تاريخه بدقة ، اختطفت زينب الحصني ذات ال19 ربيعا، لم يعلن أهلها عن اختفائها. تجرعوا آلامهم بصمت لتعود إليهم بعد طول غياب جثةً هامدة مقطوعة الرأس و اليدين. شيعها أهالي مدينتها, شهيدةً أخت شهيد.. و في القلوب حرقة و آلاف إشارات الاستفهام... و سؤال قاتل يجيش في الألباب... ترى... كم زينب سنشيع ؟؟؟

ربيع مسيحيي سورية .. وخريف البطريرك

أسامة أدور موسى | صحافي وناشط حقوقي آشوري

في الوقت الذي يستمر فيه الشباب المسيحي الثائر في سوريا بالخروج في التظاهرات المطالبة بالحرية والكرامة جنبا إلى جنب مع باقي شرائح المجتمع السوري، خصوصاً في القامشلي عروس المدن المسيحية، وفي الوقت الذي تستمر فيه شخصيات مسيحية مشهود لها بالوطنية بلعب أدوار هامة في قيادة ثورة الشعب السوري ضد نظام القمع الفاسد، انبرى بطركان جليلان من بطاركة المشرق، وقد سبقهما وسيلحق بهما آخرون، للدفاع عن النظام المتهاوي في دمشق ووصفه بأنه «المدافع عن المسيحيين» وأن «لا مستقبل للمسيحيين في المنطقة من دونه».

للتاريخ وللعالم وللبطرك الراعي و البطرك هزيم أقول بعد بارك يا سيدي: لا يا أبواي الجليلان لم تصيبا الحقيقة هذه المرة، وحبذا لو التزمتما الصمت، فقد شوهتما صورتنا نحن الشباب المسيحي الثائر بين أحرار سوريا، وبات علينا ترقيع وتصليح ما أفسدته تصريحاتكما. لا يا آباءنا الأجلاء، لستم أنتم من يقرر مصيرنا فهذا ليس شأنكم، حسبكم أن «اذهبوا وتلمذوا» ومازاد عن ذلك «فهو من الشرير». ليس هذا النظام من يدافع عن المسيحيين ولا عن المسلمين ولا حتى عن الشياطين. إن هذا النظام يدافع عن من يدافع عنه وعن مصالحه أيا كان دينه وعرقه. ففي سجونه مسيحيون ومسلمون أحرار وفي الشوارع مسيحيون ومسلمون يهتفون بإسقاطه. وعن يمينه مسلمون ومسيحيون مستفيدون وفي الشوارع مسلمون ومسيحيون يصلون من أجل بقائه.

ان استعراض بعض من تاريخ العلاقة الدموية لهذا النظام مع المسيحيين، ليس في سوريا وحسب بل في المنطقة، سيثبت لمن يبحث عن الحق والحقيقة إنه السبب الأساسي في تدمير الوجود المسيحي في الشرق على مدى ثلاثين عاما وأكثر وإليكم الدلائل:

لنبدأ رحلة استكشاف الحقائق من لبنان حيث شن جيش النظام وأدواته حروبا طاحنة لتدمير القوى المسيحية (الطرف الوحيد الذي تمت معاقبته بعد الحرب) . فقد عمل جاهداً بعد الطائف على إقصاء المسيحيين عن بناء لبنان الجديد من جهة، وصب جام دعمه على أفرقاء لبنانيين غير مسيحيين وسلحهم حتى الأظلاف من جهة أخرى. هل تعرفون من اغتال بشير جميل ورينيه معوض وسواهما؟ أم من نفى ميشيل عون وأمين جميل وآخرين؟ من سجن سمير جعجع؟ من فجر كنائسكم؟ من يسجن أبناءكم في زنازينه منذ ربع قرن؟؟ من أقصى المسيحيين عن المشاركة في الحياة السياسية؟ من اغتال جبران و بيير و سمير، وقطع أوصال مي شدياق؟ من ومن ومن !!! لماذا تعشقون أيها اللبنانيون جلاديكم الى حد الهستيريا؟ لماذا لا تتعلمون الرجولة من شبابنا المسيحي الذي يحمل صليبه الى جلجلة الحرية ويخرج ليواجه دبابات النظام بصدره العاري؟

لنسافر الى الشرق حيث مسيحيي العراق. من كان يأوي البعثيين والإرهابيين على أرضه ويدربهم في معسكراته ويمولهم ويرسلهم الى العراق ليفجر الكنائس ويستهدف المسيحيين؟ وفي تركيا: من كان يأوي ويدعم ويمول و يدرب المسلحين الإرهابيين الذين استهدفوا كنائسنا وقرانا المسيحية وأفرغوها من سكانها؟ ومن الذي وثق التحالفات مع الدولة التركية وغطى تجاوزاتها على أديرتنا وكنائسنا السريانية الآشورية ومصادرتها لأراضي أوقاف المسيحيين؟ من الذي وقع اتفاقات توزيع المياه مع تركيا ليتم وفقها قطع الأنهار العابرة من تركيا الى القرى المسيحية في شمالي شرقي سوريا؟

هل أصطحبكم الى رحلة حج وتأمل الى أراضينا المقدسة لتروا ماذا حل بمسيحييها بعد تحالف النظام مع حماس التي لم تبق في غزة مسيحيا واحدا للذكرى؟ هل نذهب الى إيران لأسألكم من هو الحليف الوثيق لنظام الملالي الذي لم يبقي في ايران الا «بقايا مسيحيين» ليتفرج عليهم السياح في أورميا وطهران؟

أم أعود بكم الى سوريا لأمطركم بوابل من الأسئلة المحرجة: من جرد مئات العوائل المسيحية في الجزيرة السورية من جنسيتها وحقوقها المدنية؟ من ألقى بأقدم معتقل سياسي في تاريخ سوريا الى هذه اللحظة في سجونه وأعني يعقوب شمعون المعتقل منذ العام 1985؟ من اعتقل ونكل بقيادات وكوادر المنظمة الآثورية الديمقراطية، وهي أعرق وأكبر حزب مسيحي في سوريا، وزج بهم في السجون والمعتقلات وتفنن في تعذيبهم وطردهم من وظائفهم ونفاهم خارج البلاد؟ من الذي قرر تجفيف ما تبقى من مياه نهر الخابور الذي كان يروي سلسلة مؤلفة من أربع وثلاثين قرية آشورية مسيحية ما أدى إلى اقتلاع أكثر من مليوني شجرة مثمرة واتلاف محاصيل عشرات آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية ليهجر معظم سكانها؟ من الذي شجع الاستيلاء المنظم على أراضي المسيحيين في ظل الفساد والمحسوبيات وشراء القضاء؟ في عهد أي نظام تمت مصادرة عشرات آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية من مالكيها المسيحيين؟

بطاركتنا الأجلاء، هي سيان عندنا إن عرفتم الإجابة عن هذه الأسئلة أم لم تعرفوا فالمصيبة كبيرة لذلك نرفع أيدينا للرب طالبين لكما المغفرة لأنكم «لا تعلمون ماذا تفعلون»، ولا تجرؤون على الإجابة وأدعوكما الى استعارة حناجر أحرارنا التي تنتزعها مخابرات النظام على أصواتكم ترتفع أكثر وتشهد للحق.

بطاركتنا الأجلاء لقد سمعتم أنه قيل للأولين أن هذا النظام يدافع عن المسيحيين، أما أنا فأقول لكم أن ربيع المسيحيين في لبنان وسورية والعراق والمنطقة بأسرها يزهر بزوال هذا النظام و مستحلقاته، و أن حلول الربيع – و هذه حكمة إلهية وليست رواية ماركيزية – سيقابله خريف عاصف يسقط الأوراق عمن يتستر على الظلم والظلام والظالم.

عندما يُسوِق الأسد النفط

محمد كركوتي - الإقتصادية

لا توجد حكومة في العالم، تقوم بحملات لـ«تسويق» عدم أهمية صادراتها النفطية بالنسبة للاقتصاد الوطني، ودورها في الحراك الاقتصادي المحلي، سوى حكومة سفاح سوريا بشار الأسد! ولا يعود ذلك (بالتأكيد) إلى أن الأسد يؤمن بالحسد، ويهرب من «عيون» الحاسدين، بل لأنه (كما والده) يسعى للحفاظ على العوائد النفطية في طريقها الذي لا ينتهي عند الخزينة العامة للدولة! بمعنى آخر، أن تبقى خارج إطار الدخل المحلي، بلا سجلات أو دفاتر. ويطيب لمن تبقى من مؤيدي الأسد القول، بأنه لا توجد وثائق أو إثباتات أو قرائن، تؤكد أن العوائد النفطية لا تدخل في الخزينة العامة، وأنها تذهب إلى جيوب «القائد» وأعوانه. وهذا صحيح، لأن العصابات لا تعتمد المستندات في مسروقاتها، ولا تجدولها، ولا تستأجر المحاسبين للجرد السنوي.

الشيء الوحيد الذي تقوم به بعد اكتمال عمليات السرقة، هو العثور على ملاذات آمنة لهذه المسروقات، وتحصينها من الملاحقات والضبط. وكان لزعيم المافيا الشهير آل كابون قولاً شهيراً في هذا المجال، عندما حاولت السلطات الأميركية إدانته لامتناعه عن دفع الضرائب. ماذا قال؟ «كيف يمكن دفع الضرائب المشروعة على أموال غير مسجلة وغير مشروعة». ومع ذلك، فقد حاولت المنظمات الحقوقية الغربية في تسعينات القرن الماضي، إثارة قضية سرقة الأسد الأب لعوائد بلاده النفطية، إلا أنها واجهت صداً منيعاً من حكوماتها آنذاك (ومعها الشركات النفطية الأجنبية العاملة في سوريا، لأسباب ربحية صرفة)، وذلك لاعتبارات سياسية يعرفها الجميع، من بينها «التخويف الوهمي» من الفراغ السياسي والأمني إذا ما سقط الأسد، والرابطان اللبناني والإيراني، وضمان استقرار إسرائيل أمنياً وعسكرياً، والخوف من قيام الأسد بإعادة تصدير الإرهابيين إلى دول الغرب. والحقيقة أن الاعتبارين الأخيرين هما الأكثر واقعية من كل الاعتبارات، التي اعتاد الغرب تسويقها طوال أكثر من أربعة عقود.

يقول أعوان الأسد، في أعقاب فرض الاتحاد الأوروبي الحظر النفطي على سوريا، إن الصادرات النفطية ليست ذات قيمة عالية، لأن الغالبية العظمى من الإنتاج يذهب للاستهلاك المحلي. ومع ذلك فقد فشلوا (كما العادة) في إخفاء الحقيقة التي جاءت من الشركات العالمية التي تقوم باستخراج وتسويق النفط السوري المنهوب، إلى جانب ما تعلنه مراراً، منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط المعروفة اختصاراً باسم «أوابيك». وحسب هذه الأخيرة، فقد جاءت سوريا في العام 2008 ضمن قائمة الدول العربية المصدرة للنفط في المركز الثامن، بعد قطر وقبل البحرين ومصر، وبلغت العوائد النفطية في ذلك العام، الذي شهد انفجار الأزمة الاقتصادية العالمية، التي أثرت سلباً على أسعار النفط 7989 مليون دولار أميركي. وتشكل هذه العوائد الضخمة بالنسبة لسوريا (إذا ما حُسبت ضمن نطاق الإيرادات العامة، ومرة أخرى أقول: إنها لا تُحسب)، قرابة 17 في المائة من إجمالي الدخل المحلي(وإذا ما أُدخلت في الموازنة العامة، فهي تساهم في 24 في المائة منها)، وهي نسبة تدفع أية سلطة شرعية في العالم، إلى أن تشكر الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، على هذا الخير وتلك النعمة، وتعمل لتطويرها والحفاظ عليها. وقد استفادت السلطة في سوريا، طوال الأعوام التي سبقت الأزمة الاقتصادية العالمية، بارتفاع هائل لأسعار النفط، حيث وصل سعر البرميل في العام 2008 (الأزمة اندلعت في سبتمبر/أيلول من العام نفسه)، إلى 140 دولار أميركي، ولم ينخفض في العام 2007 دون 90 دولاراً. وفي العامين الماضي والجاري، ظل سعر البرميل متراوحاً في حدود 100 دولار أميركي.

في مقالي السابق الذي نُشر بعنوان «النفط السوري يقتل السوريين أيضاً»، أشرت إلى أنه كلما علت أصوات الأنظمة الوحشية التي تخضع للعقوبات الدولية، كلما كانت هذه العقوبات مؤثرة عليها. وقد تدافع أعوان السلطة لإطلاق تحدياتهم لهذه العقوبات، بما في ذلك وزير المالية محمد الجليلاتي، الذي قال: «إن العقوبات لن تضر سوريا. ستظل سوريا واقفة على قدميها. لا مشكلة ما دامت احتياجاتنا المحلية مكفولة». ماذا قال أيضاً؟ «إننا نبحث عن مشترين للنفط المخصص للبيع». والحقيقة أن العقوبات النفطية لن تضر سوريا الشعب، بل بدأت أضرارها تظهر على السلطة التي تواجه شحاً متعاظماً في التمويل، الذي يستحق بجدارة توصيف «تمويل الهلاك». وقد كان الاتحاد الأوروبي رحيماً بالشعب السوري، عندما أحجم عن حظر كل أشكال التجارة بين شركات الطاقة الأوروبية وسوريا، لأن مسؤوليه لا يرغبون في زيادة معاناة هذا الشعب عن طريق قطع إمدادات الوقود اللازمة لتوليد الكهرباء، حيث يعاني السوريون أصلاً شحاً تاريخياً فيها. وباستثناء بلدان ارتضت على نفسها ممارسة

سياسة وأخلاق الشركات، لا سياسة وأخلاقيات الدول، فإن المجتمع الدولي يحاول بشتى الوسائل، فرض عقوبات ذكية على الأسد وأعوانه، بحيث لا تطال الشعب السوري، الذي يرزح منذ أربعة عقود تحت عقوبات محلية مريعة، سادت عهدي الأسد الأب والابن.

يبحث الأسد الآن، عمن يشتري النفط السوري المنهوب، وسوف يعثر بالنهاية على مشترين بشروطهم، وسوف يقبل بأية شروط أو أسعار كانت، لأن صنابير الأموال التي كانت مفتوحة عليه وعلى أعوانه، بدأت تتحول من حالة الدلف إلى حالة الشح، بينما تزداد العزلة الاقتصادية عليه مصحوبة بالعزلة السياسية الدولية، وشيئاً من العزلة العربية. وبعد فشل المساعدات المالية الإيرانية المباشرة (5.9 مليار دولار)، ومعها المساعدات الحكومية العراقية غير المباشرة (6 مليارات دولار)، في توفير الحماية لسلطة الأسد، وبعد هروب (وتهريب) ما يربو على 23 مليار دولار أميركي، إلى خارج سوريا في غضون خمسة أشهر فقط، وفي ظل تراجع مفزع للاحتياطي النقدي، سيكون من الصعب عليه، أن يتأخر في العثور على مشتر للنفط السوري. فهذا النفط يوفر للسلطة ما يقرب من 15 مليون دولار في اليوم الواحد، أو 45 مليون في الشهر الواحد، وهي مبالغ مضمونة، بعد توقف الاستثمارات، واضمحلال العوائد السياحية بصورة كاملة حقاً، بينما يتجه الاقتصاد السوري «بثبات» نحو المجهول. لم يعد أمام الأسد مصادر تمويل أخرى، وفي ظل الثورة الشعبية السلمية العارمة، لا توجد بارقة أمل أمام هذه السلطة، للعثور على الإمدادات المالية، إلا إذا قرر جلب الأموال السورية المنهوبة على مدى سنوات طويلة، المخزنة في ملاذات آمنة، لاسيما في لبنان وإيران وفنزويلا، وبعض الدول الأفريقية التي تحكمها أنظمة مارقة وفاسدة. ولم يحدث في التاريخ، أن أقدم طاغية على استخدام الأموال التي سرقتها لحماية سلطته. فالطغاة يسرقون.. يسرقون، إلى أن يفروا من غضب شعوبهم، أو أن يقعوا انتظاراً لعدالة هذه الشعوب.

حدث ذات ثورة ... و في بلد اسمه سوريا ..

ألين شاهين

حين كان الدمع مخضباً بالدم و الفرحة محاصرةً بالألم.
جاء العيد.. لكنه لم يستطع أن يدخل... كانت الحواجز منتشرةً في كل مكان... و الجنود بأسلحتهم يقطعون كل الطرق عليه... و المدرعات تجعل دربه شبه مستحيل... انسحب يائساً أو شبه يائس .. محبطاً و في قلبه شعلةٌ من الأمل... بدأت أشعة الشمس تداعب الثرى .. إنه صباح العيد... لكن العيد لما يأتِ.. كان يسمع نداءات الأطفال تلامس أوتار قلبه و تحمسه ليحث الخطا ليعانق أفئدتهم... عاد يطوف حول الحواجز من جديد... يبحث عن فسحةٍ يتسلل عبرها..... لمحته مآقي الأطفال فبرقت فيها السعادة و تلألأت الفرحة.. بات العناق قريبا لا يعيقه إلا ذاك الحاجز ، و رتل الجنود.. و الدبابات و الأسلحة و.... لم ييئس... استمر في المحاولة... واستمر الأطفال في الانتظار... ربما مرّ الوقت طويلا.. لكنهم قتلوا وقع الانتظار بمرحهم... نصبوا له الأراجيح أن هلمّ إلينا... صنعوا بأيديهم الصغيرة حلوى لاستقباله... و بأناملهم الغضّة زينوا الساحة التي أرادوا استقباله فيها... استمر يبحث عن حيلة أو فسحة ليصل إليهم... تنبه له أحد رجال الأمن ... رمقه بنظرة ملؤها الشك و الريبة... « شو الك شغل هون ؟؟» رد عليه: «أنا العيد !!! جئت أعانق أفئدة الأطفال و أرسم البسمة على الوجو ... جئت ألون الكون بالفرح.. و أملأ المدى بالضحكات» ...
–«ما في تفوت إنت ممنوع من الدخول ... مالك شغل هون»
– «كيف مالي شغل هون .. أنا مكاني بكل مكان»
– « بلا كتر حكي .. ارجع من محل ما اجيت»

استرق العيد نظرةً إلى الأطفال الشاخصة عيونهم يترقبونه... اقتربت طفلةٌ من الحاجز.. و في غفلةٍ من رجال الأمن... في غفلة من العيد أيضاً.. أمسكت بذراعه و جذبته إلى جموع الأطفال التي تجمهرت ما وراء الحاجز في انتظاره... تعالت ضحكاتهم، فتنبه رجال الأمن.. كانت يد الطفلة ما تزال تقبض على يد العيد و تجري كفراشة تنتشي بفرحتها.. راع المشهد رجال الأمن... امتشقوا بنادقهم و رشاشاتهم و فتحوا نيرانهم عليهما بجنون... اخترقت الرصاصات جسديهما.. لكن... هذه المرة لم تجر دماءٌ... لم يسمع أنينٌ ... و لكن.. تفجرت من جسديها أسراب حمام حلقت في سماء سوريا... ظلت الضحكات تتردد في المدى... كلما سكنت ردد رجعها الصدى.. ظلت القناديل مضاءة و الأراجيح منصوبةً و الساحات مزينةً... في انتظار العيد معانقاً فجر الحرية.

سمفونية الرعب..تخيف عازفها

د. براء سراج

بين الفينة والأخرى، أجد نفسي أغوص في غياهب سيمفونية الرعب في تدمر: ارتجاج جدران المهجع الاسمنتية وهي تضرب بالكرابيج الثقيلة، كمؤشر من الشرطة أن التنفس اليوم لن يكون هادئاً... صوت رمي قضيب الحديد على أرض الباحة، والذي يعني أن أجسامنا ستذوق شيئا آخر مع الكرباج... صوت الأبواب الحديدية الثقيلة الصدئة وهي تغلق برتابة وبطء.. صوت تراكض الأرجل وهي تهدر فوق الأرض الرملية المزفتة.. صوت تلقيم بواريد الكلاشينكوف من على الأسطحة.. سباب الشرطة.. لسع الكرابيج... صوت ارتطام أوعية الحلاقة البلاستيكية معلنة أن دور الباحة بالحلاقة قد حان.. صوت معمل اللبن (الطوب) القريب.. هدير محركات الطائرات الحربية وهي تقلع من المطار العسكري المحاذي للسجن.. صوت الصراخ.. دواليب الاستقبال أو العقوبات الرسمية.. الوجوه الخائفة وهي تحرك الشفاه بالأذكار أو سورة (يس).. برد الشتاء القارس الذي يزيد ألم الضرب أضعافاً.. كل هذا يشكل سمفونية للرعب التي باتت مع السنوات تتجلى فينا جسدياً.. بعد 7 سنوات، أصبحت كلما أسمع باب مهجع الـ 25 بباحة الإعدام يُفتح أصاب بتشنج بالمعدة، والتي كان علي أن أضغطها بيدي لتخفيف هيجان الحموضة من تنفس بالباحة وشيك.. لكن كل هذه «الأنغام» يجمعها عامل مشترك... أنها تُعزف في النهار!

ماذا عن الليل؟ سمفونية الرعب الليلية لها أنغام أخرى مختلفة.. إنها سمفونية هادئة.. ضوء المهجع الوحيد الأصفر الخافت.. الجميع مستلق بلاحراك.. الأعين تحت الطماشات.. صوت خطوات الشرطي وهو يتلصص علينا يبحث عن ضحية تجرأت على التقلب.. الحارس الليلي يقف باستعداد وابتسامته ممزوجة بخوف ورجاء أن ساعتا حراسته ستمر بسلام.. الجميع يكتم الأنفاس.. خاصة إذا كان الشرطي يصيح ويسب في المهجع المحاذي، مما يعني أن دورنا لانتقاء «معلّم» أو «معاقَب» قادم.. كنا نلتقط الشرطي من خياله في ليلة مقمرة، لكن من الصعب توقعه في ليالي أول الشهر.. كيف نتحايل على ذلك؟ هناك دورية مناوبة تتفقد جاهزية الحراس على الأسطحة، وكان إذا لمح الشرطي الرقيب المناوب عن بعد فإنه يصيح بأعلى صوته وبمطة طويلة: قف ثم يتبعها بلهجة آمرة: مين؟.. يسود صمت أو كلام منخفض لا نتبينه، ثم نسمع الشرطي يقول: تقدم.. هذه الـ «قف» كانت تساعدنا، وحسب بعد الصوت أو قربه، بتكهن خط سير الرقباء فوق الأسطحة، وبالتالي كسر بعض من عامل المفاجأة.. هذه الـ «قف «هي اللحن المميز لسمفونية الليل، والذي لايتوقف حتى بزوغ الفجر.

أذكرعندما كنت صغيراً أني كنت أخشى الأماكن المظلمة والمهجورة.. أخشى أن تكون مسكونة بالجن، فللجن أرجل كأرجل الماعز، كما كانت جدتي وصديقاتها يصفونهم في قصصهم.. لم أجرؤ يوماً أن أقطع طريق البساتين من البيت إلى النواعير الأربع.. قالوا لي بأن لهذه النواعير «جنيّ» مختصّ بها... طفولتي لم تسمح لي أن أسأل ماذا يفعل هذا «الجني» هناك... لعله أحد السياح المولعين بالنواعيرا.. كان أطفال حماة «الأشقياء» يكمنون لنا بين الأشجار كلما تشجعنا لخوض غمار ذلك الطريق، ويصيحون بنا فنفرّهاربين دون أن نعقب.. أتذكر قصص البيوت المسكونة والجن المتشكل بأشكال هررة، وأحمد الله أنني وصلت سالماً للمنزل بعد أن مررت بطريق مظلم مسكون بهذه الأعين التي تلمع في الظلام.. كل هذه الذكريات تتبخر مع كلمة «قف» التي يصيح بها أحد الحراس.. ياالله .... ليس هناك شياطين إنس وهؤلاء الشرطة موجودون.. كان صوت صياحهم بهذه الكلمة يأتينا من كل أرجاء ذاك السجن الكبير، وصداها يشق ظلام الليل الصحرواي، وكأنها قطعان ذئاب حاقدة.. هل هو أمر للزمن أن يتوقف؟ هل هي محاولة لعرقلة عجلة التاريخ أن الظلم لابد زائل؟ هل استطاعوا منعنا من الخروج من ذلك الجحيم، أو أن نتابع مسيرة الحياة بهمة وإصرار؟

هل رعب الثمانينات في سورية منع حركة الحرية هذه الأيام؟ هم من وقف ونحن من تقدم.. ما أشد حماقة الدكتاتور وأتباعه... سمفونية الرعب لا تعرقل إلا عازفها!

عائدون من وراء الشمس (3)

آدم الكرملي

تجارب يرويها من خبروا أقبية التعذيب المخابراتي لنظام الأسد ,أو على الأقل من عاشوا كل لحظة من عمرهم في خوف من أن يدخلوها، وهم مصرّون اليوم على اسقاطه كي لا يرسل أحد إلى «وراء الشمس» من جديد...

الحلقة الثالثة

مواطن آخر هو (ت) رجل في منتصف العقد الرابع تقريبا من عمره، خريج قسم الإعلام بجامعة دمشق، يتحدر من إحدى مدن محافظة حماة، اعتقل في مظاهرة بمنطقة الحريقة وسط دمشق، أحاطه «الشبيحة» المسلحون وقيدوه فورا ووضعوا «التطميشة» على عينيه، ورموه في سيارة الأمن التي اقتادته إلى «فرع فلسطين» ,ليعيد تجربة والده الذي أمضى في أقبية الفرع ذاته نحو عقد من حياته ,على فترات متقطعة، حسب ما أخبرنا..هو الأخر انهال عليه رجال الأمن بالضرب المبرح في السيارة ,حتى وصل لمقر الفرع الذي أمضى فيه عشرة أيام، وهناك استلمه السجانون بالضرب والركل بالأقدام والعصي وكابلات الكهرباء؛ وجردوه من ثيابه كلها كإجراء للتفتيش (لاحقاً بقي بثيابه الداخلية و»مطمشا» طيلة فترة الاعتقال) وبعد نحو عشر ساعات من الضرب والجلد، جاء أحدهم وأجبره على إعطائه بريده الإلكتروني وكلمة المرور لصفحته على «فيس بوك».

يقول (ت) «الليلة الأولى كانت الجحيم نفسه» ويردف: «فيها تعرفت صنوفاً من التعذيب لا يمكن لبشري تخيلها» ابتداء من «الشبح «أي:واقفا ومقيدا إلى السقف وقدماه تلامسان الأرض ولا تدوسانها ,يتخلله صعق مستمر بالكهرباء، مرورا بـ»الكرسي الألماني»، وهو عبارة عن كرسي معدني ,له أجزاء قابلة للحركة ,يقيد فيه السجين ويشد إليه بطريقة تسبب انفراجا مؤلما في عموده الفقري ,وتضغط بشكل مؤلم على الرقبة لدرجة لا يمكن وصفها ,حسب ما شرح لنا الشاب، رافق ذلك بشكل مستمر جلد من قبل عدة سجانين ,بكبل رباعي وبوقت واحد على نوبات بينهم.

ويؤكد (ت) على تعرضه و بقية المعتقليين للضرب الهستيري والذي استمر على مدار أيام عدة , حيث كانوا يُجمعون في غرف التحقيق عراة ,ويصفون مقيدين ووجوههم إلى الجدران ,يستمعون إلى التحقيق والتعذيب والضرب الذي يتلقاه بقيةالمعتقلون. هُدد (ت) هو الآخر بشرفه ,وبالاعتداء على زوجته وابنه ذو الأعوام الخمسة، وبإخفائه إلى الأبد إن لم يتعاون مع المحققين. وأمضى الشاب وقته كله في زنزانة منفردة ,باستثناء فترة التحقيق التي كان يحضر إليها برفقة معتقلين آخرين.

يشير (ت) لكونه سمع الكثير مما اعتبره تنفيساً عن احتقان سجانيه ,إلا أن أكثر ما يمكن أن يعبر عن حالتهم جملة كان يرددها أحد المحققين طوال فترة استجوابه: «ما منروح إلا ما تروح البلد معنا». ويتذكر بحزن ما لاقاه معتقل فلسطيني يدعى (م) عذب أضعاف ما لاقاه نظراؤه السوريين، ويذكر أن المحقق كان يسأل الفلسطيني عمّن دفع له للمشاركة في التظاهرات؟ وهل اتصل به أحد من «جماعة عباس أو دحلان»؟ وحقّره المحقق لأنه «ناكر للجميل»، وبأن عليه أن «يذهب إلى فلسطين لتحريرها».

على رغم من صعوبة تجربته يؤكد الشاب استمرار تفاؤله بسقوط النظام، وقناعته أن سجانيه جزء من ضحايا الاستبداد الذي قتل ما استطاع من أرواحهم وطبائعهم الإنسانية .وهو ما تأكد له من تجربة سرد لنا وقائعها: «انهال علي سجان في جلسة تحقيق ضربا وركلا ثم أوقفني ليشبحني، عند تلك اللحظة التي كنت أحسست بقربي منه ,طبعت قبلة على يده ثم عنقه، لا أعلم إن كان هو أم لا الذي جاء إلى زنزانتي وبكى بمرارة معتذرا مني في اليوم التالي، وهو يقول: (هذه الأوامر، ومن يعصيها يقتل)». لم تثن تجربة السجن القاسية (ت) عن المضي بطريق اختاره بل ,زادته إصراراً؛ ففور استعادته عافيته وقدرته على الوقوف على قدميه عاد لينضم و»بتصميم أكبر» ـ كما أكد، للحركة الاحتجاجية التي يسميها بـ «ثورة الاستقلال السوري الثانية».

وهو يشارك في المظاهرات التي تنظم أسبوعيا في مدينته في محافظة حماة، أو في ريف دمشق وضواحيها؛ وكان شاهدا على سقوط عشرات المحتجين صرعى برصاص الأمن في دوما وداريا؛ وأسعف بنفسه بعض الجرحى إلى «عيادات آمنه»، خوفاً من أن يجري اعتقالهم ,كما حصل لعشرات الجرحى في مشفى دوما الوطني ومشفى دمشق «المجتهد» و مختلف المشافي والمراكز الحكومية. وحاليا هو لا ينام في بيت واحد لأكثر من يومين، لا يستعمل هاتفه النقال ولا شبكة الهاتف الثابت، ويعتقد أن الطرق التقليدية بالتواصل الشخصي أكثر أمنا «على رغم صعوبتها بسبب الإجراءات الأمنية الاستثنائية التي يرزح البلد تحت وطئتها»، ويضيف متهكما: «بتنا اليوم نترحم على حالة الطوارئ» مشيرا لرفع حالة الطوارئ «نظريا».

لكنه يستدرك «إن حركة الشارع هي الأسرع والأقوى»، ويسخر مما يصفه بـ «غباء النظام وتخلفه» ,بسبب عدم قدرته على مواكبة حركة الشارع وعدم فهمه لحتمية فشل الحل الأمني. عند سؤاله عن الإعلام السوري إتهم (ت) الجهاز الإعلامي للنظام بالشراكة فيما سماها «جرائم ذبح السوريين بأموالهم ومن قبل جيشهم»، مؤكدا أن الثورة السورية تتقاطع والتجربة التونسية والمصرية واليمنية من حيث سلمية التظاهرات ,والحركات الاحتجاجية، لكنه يجد «تطابقا كاملا» لخيار الإنكار والقمع الدموي الذي اتخذته الأنظمة في سورية واليمن وليبيا»، وبأن الأداء الإعلامي لتلك الأنظمة ما هو إلا تعمية عن المجازر، وواصفا ما يجري على شاشاتها بـ «الدراما السوداء»، يلخص (ت) بقوله: «النظام لم ولن يتخطى عقلية 1980، بينما عموم الشعب تحيا بالفعل في عصرها وزمانها بكامل أبعاده».

التتمة في الحلقة المقبلة

ستة أشهر وبعد

فاضل حسين

ما بين يوم الغضب 5 شباط و15 آذار حوالي 35 يوم، كانت المشاعر ما زالت منتعشة ,والآمال عريضة بعد ان سقط كلا من زين العابدين بن علي في تونس ,وحسني مبارك في مصر ,وبزمن قياسي، وكانت قد بدأت الشعوب المقموعة في كل من اليمن وليبيا بالتحرك ضد أنظمتها، المؤشرات لم تكن تدل على أن ثورةً شعبية قد تبدأ بسورية، فبعد فشل الدعوة الاولى استجاب العشرات للدعوة الثانية في الثلاثاء 15 آذار فكانت مظاهرة سوق الحميدية في مدينة دمشق، وبعدها بيومين كان اعتصام العشرات من الاحرار امام وزارة الداخلية السورية التي قمعت بالقوة، ولكن كان يوم الغضب في 18 آذار محطما لكل تلك التوقعات أو التمنيات، وقدمت مدينة درعا اول شهداء الثورة السورية.

ان التعامل الوحشي للأمن السوري مع اهلنا في درعا, والذي تسبب باستشهاد اكثر من ثلاثين شهيداً على مدى اسبوع كامل ,جعل المظاهرات في الجمعة التالية ,وهي جمعة الكرامة ,تشتعل بالمظاهرات الجماهيرية في محيط الجامع الاموي بدمشق وحمص واللاذقية وجبلة وبانياس وحماة ومضايا والصنمين وكفرشمس وكافة انحاء حوران,وقدر عدد المتظاهرين في أنحاء حوران فقط بمئتي آلف متظاهر ,رفعوا الشعارات المطالبة بالحرية وشعار التحدي الموت ولا المذلة. بعدها بدأت الثورة السورية ,جمعة بعد جمعة ,تأخذ مناحي جديدة في عمرها، فجمعة الكرامة ,الشهداء ,الصمود والاصرار ,العظيمة ,الغضب ,التحدي ,الحرائر ,أزادي ,حماة الديار ,اطفال سوريا ,العشائر ,صالح العلي (الشرفاء),سقوط الشرعية ,ارحل ,لا للحوار ,أسرى الحرية ,أحفاد خالد ,صمتكم يقلنا ,اللّه معنا ,لن نركع ,بشائر النصر ,الصبر والثبات ,الموت ولا المذلة والحماية الدولية، كلها كانت ملاحم من البطولة والشجاعة والتضحية بأكثر من 4000 شهيد ,وما خفي كان أعظم وأضعافهم جرحى ,وأضعاف اضعافهم معتقلين ومختطفين، كل جمعة منها ستبقى قصة خالدة بوجدان السوريين كافة.

بعد ستة أشهر ,يتزايد الحقد والقمع المتأصلين في النظام ضد النشطاء، فقتل وخطف وتمثيل بجثث المناضلين، وموقف عربي غريب لم يفعل شيئاً ذا أهمية ,رغم خطاب بعض المسؤولين العرب هنا وهناك، وموقف أغرب من تركيا، وموقف متردد من الغرب االذي حاول من خلال فرض العقوبات فعل شيء ,رغم تأكدنا وتأكدهم بعدم فاعلية هكذا عقوبات، تستمر نضالات الشعب السوري نحو الحرية و الديمقراطية, وكله ايمان بالمستقبل وما يحمله هذا المستقبل ,رغم كل الحسابات المحلية والاقليمية والدولية بشكل جعل الكثيرين يقفون غير مصدقين مدى قوة وصبر وشجاعة هذا الشعب العظيم، شعب سورية.

من كان يحلم بأن الشعب السوري ثار من أجل حريته بعد أربعين عاما من الظلم الممنهج والمنظم؟...لاأحد ...الا قلة ,راحت تحلم بعد أن قتل الحلم بيد الطغاة، الى الأمام يا شعب سورية الحرة ...فانتم تحولون حلم خرافي لا منطقي الى حقيقة مطلقة، الى الأمام....

حتى تفهموا لماذا انفجرت سوريا

د.خالص الجلبي

مدينة (خان أرنبة) تقع على تقاطع هام في الجولان السوري ,وكان حظ إحدى بناتي أن تدخل تجربة مواجهة مع النظام الشمولي البعثي هناك. فقد دخل الأستاذ (الموجه الحزبي) يوما إلى الصف وتوجه إلى الطلبة من ذكور وإناث فقال: «هل هناك أحد غير بعثي في هذا الصف»؟

فرفع ثلاثة من الطلبة المنكوبين بالطاعون البعثي أصابعهم ,كان أحدهم (طالبة).
قال الأستاذ: "إذا سوف نوزع عليكم استمارة الانتساب للحزب!"

وفي اليوم التالي كان الطلبة الذكور قد نالوا الحظوة بالانتساب للحزب القائد وبدؤوا بقراءة ترانيم الصباح من إنجيل القائد الذ يحكم إلى الأبد. وبقي في الفصل متمرد واحد (أنثى) تشبثت بموقفها أنها لن تنتسب للحزب.

قال لها الأستاذ: "لماذا لم تنتسبي إلى الحزب؟"

قالت الطالبة: "هل الانتساب للحزب إلزامي؟"

ارتبك الأستاذ وابتسم ابتسامة صفراء وقال: «بالطبع ليس الانتساب إلزاميا، ولكن الانتساب للحزب يمنحك العديد من المزايا، وبدأ يعدد بركات الحزب من تأمين الوظيفة ودخول الجامعة والانتساب للجيش والانخراط في المخابرات وفتح الدكان وصك الزواج.

أصرت الفتاة على موقفها وقالت: "لن انتسب للحزب!"

طلبها الأستاذ على انفراد حتى لا تحدث (شوشرة) في الصف وقال لها: «اصدقيني الخبر فإن كان والداك قد (خوفوك) أو مارسوا ضغطاً عليك أن ترفضي الانتساب إلى الحزب فلسوف نتولى أمرهم.قالت: « لا.. والامتيازات لا أريدها ووالداي تركا لي حرية الاختيار وأنا اخترت أن لا أنتسب للحزب، وأكرر سؤالي هل الانتساب للحزب إجباري»؟

ارتبك الأستاذ هذه المرة أكثر ,وامتعض وبدت على وجهه علامات الغضب فلم يواجه حالة استعصاء نادرة مثلها، وفي العادة ينضم الجميع للحزب خوفا ورهبا ورغبا مثل الحملان الوديعة؛ فأحال المسألة برمتها إلى مدير المدرسة كي يعالج هذا التمرد الخطير في عقول الشبيبة التي يغسلونها على مدار الساعة.
وفي اليوم الثالث استدعى المدير الطالبة وأكرمها بمقعد وثير وابتسامة عريضة وتهليل مجيد ثم فتح فمه فقال: «أنت من خيرة الطالبات و نحن نبني عليك الآمال ,والحزب يتطلع إلى أن تنتسبي إليه وتشاركي في النضال بين صفوفه!... سكتت الطالبة هنيهة والمدير يتأمل تعبيرات وجهها، وأجابت بهدوء: «هل الانتساب للحزب إجباري»؟

صعق المدير وأجاب بانفعال وقد ارتفعت طبقة صوته:« لا.. لا.. بالطبع ليس إجبارياً. ولكن. ....ثم بدأ يعدد المحاسن اليوسفية والدرر اللامعة لإنجازات الحزب، وعندما ختم ديباجته قالت الفتاة باختصار وإصرار أكثر من الأول؛ «طالما كان الانتساب للحزب ليس إلزاميا فلن انتسب للحزب.»

هذه.. اللا.. اللعينة أحدثت إرباكاً في إدارة المدرسة ورأوا فيها بادرة خطيرة من التمرد من طالبة تافهة ,مثل انتشار وباء من وراء فيروس لا علاج ولا لقاح له؟ فيروس..لا.. عندها انتقلوا إلى الوعيد والترهيب فكانت النتيجة نفسها.

وكانت هذه الجملة تشكل معادلة صعبة ليس لها حل في رياضيات الحزب: «قولوا لي هل الانتساب للحزب إجباري؟»... فلما سقط في أيديهم اعتبروا أن عقل الطالبة قد تسمم. وأن مساً من الجنون أصابها. وأن خلفيتها بورجوازية. وأن تربيتها عفنة رجعية جداً. ولما يئسوا منها خلصوا نجيا وتركوها على أمل التمكن من إرادتها في مناسبة أخرى.

فهذه هي قصة ما يجري تحت النظام الشمولي. كما تحكي القابلية للاستعمار وكيف يولد الاستعمار، كما تحكي قوة (لا) وأن استعمار الناس يتم بأيديهم ,وأن الشيطان ليس له سلطان إلا على من اتبعه من الغاوين. وأعظم آفة يتعرض لها مجتمع :تحوله إلى مجتمع كله حزب من المنافقين. وهم بممارسة (الإكراه) حولوا الأمة إلى قطيع من الخائفين.

إن بركات الحزب كثيرة ,ولكن ينقصه مزية واحدة :حرمان الإنسان من (الاختيار) ومعها يحرم من كل (إنسانيته) ويتحول إلى (شيء) من الأشياء. ومعها يخسر الأبعاد الثلاثة له كإنسان: «الاستقلالية والإرادة والتفكير». ليتحول إلى كائن دماغه مسطح مثل حدوة الحصان؛ فهذه هي مصيبة الأحزاب الشمولية. إنها بكلمة مختصرة قتل اللانسان بالجملة وبالمفرق. فهل فهمتم لماذا انفجرت سوريا؟

أكتبُكَ

حبيبي رحلتَ
و لم تترك وصيّة
تركتني في لوعة
في لجّة غيابك
بائسة شقيّة
حملتُ في وداعِك
فظاعة ندوبكَ و التعذيب
و ذكرى أماني
حلوة سريّة
فماذا أقول بعد يا ترى
لطفلتنا الوليدة
يوم تشرقُ بهيّة
كيف أخبرُها عنكَ
و عن ورودِك
الشهية
عن أبيها حبيبي
من عاش النضال
نبيلاً
أبيا
أسمعُك تنادي
أماهَم
«سلمية، سلمية»
لكن الغدر حاقد
استدرجَ بخبثِه
مشاعرَك النديّة
فهرعتَ الى مضير
محتوم
فداء الهوية
غياث...
ماذا أقول لابنتنا
للطفولة الوردية
غياث...
يا عريس السماء
رحلتَ و انا منهمكة
و في بطني الهديّة
غياث يا مطري
في صحراء ما سيأتي
مخاضُ البلاد اليكَ سبقني
فرسمتَ للوطن
بقسوة جراحِك
طريق الحرية...

(مهداة الى روح الشهيد غياث مطر)

إميلي حضروتي

hurriyat.info@gmail.com

facebook.com/syrian.hurriyat تابعونا على الفيسبوك

@SyrianHurriyat تابعونا على التويتر

www.syrian-hurriyat.com